قوله 188 - { لا تحسبن الذين يفرحون } قرأ الكوفيون بالتاء الفوقية والخطاب لرسول ا A أو لكل من يصلح له وقوره { بما أتوا } أي : بما فعلوا وقد اختلف في سبب نزول الآية كما سيأتي والظاهر شمولها لكل من حصل منه ما تضمنته عملا بعموم اللفظ وهو المعتبر دون خصوص السبب فمن فرح بما فعل وأحب أن يحمده الناس بما لم يفعل فلا تحسبنه بمفازة من العذاب وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وأبو عمرو لا يحسبن بالياء التحتية : أي لا يحسبن الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب فالمفعول الأول محذوف وهو فرحهم والمفعول الثاني بمفازة من العذاب وقوله { فلا تحسبنهم } تأكيد للفعل الأول على القراءتين والمفازة : المنجاة مفعلة من فاز يفوز إذا نجا : أي ليسوا بفائزين سمي موضع الخوف مفازة على جهة التفاؤل قاله الأصمعي وقيل : لأنها موضع تفويز ومظنة هلاك تقول العرب : فوز الرجل إذا مات قال ثعلب : حكيت لابن الأعرابي قول الأصمعي فقال : أخطأ قال لي أبو المكارم : إنما سميت مفازة لأن من قطعها فاز وقال ابن الأعرابي : بل لأنه مستسلم لما أصابه وقيل المعنى : لا تحسبنهم بمكان بعيد من العذاب لأن الفوز التباعد عن المكروه وقرأ مروان بن الحكم والأعمش وإبراهيم النخعي آتوا بالمد : أي يفرحون بما أعطوا وقرأ جمهور القراء السبعة وغيرهم أتوا بالقصر .

وقد أخرج ابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن حبان وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن أبي هريرة قال : قال رسول ا A : [إن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرأوا إن شئتم { فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور }] وأخرج ابن مردويه عن سهل بن سعد مرفوعا نحوه وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الزهري في قوله { ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم } قال : هو كعب بن الأشرف وكان يحرض المشركين على رسول ا A وأصحابه في شعره وأخرج ابن المنذر من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك مثله وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن جريج في الآية قال : يعني اليهود والنصارى فكان المسلمون يسمعون من اليهود قولهم { عزير ابن ا } ومن النصارى قولهم : { المسيح ابن ا } { وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور } قال : من القوة مما عزم ا عليه وأمركم به وأخرج ابن إسحاق وابن جرير عن ابن عباس في قوله { وإذ أخذ ا ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس } قال : فنحاص وأشيع وأشباههما من الأحبار وأخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله : { وإذ أخذ ا ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس }

قال : كان ا أمرهم أن يتبعوا النبي الأمي وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عنه في الآية قال : في التوراة والإنجيل أن الإسلام دين ا الذي افترضه على عباده وأن محمدا رسول ا يجدونه مكتوبا عندهم في التوارة والإنجيل فنبذوه وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في الآية قال : هم اليهود { لتبيننه للناس } قال : محمدا A وأخرج ابن جرير عن السدي مثله وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : هذا ميثاق أخذه ا على أهل العلم فمن علم علما فليعلمه الناس وإياكم وكتمان العلم فإن كتمان العلم هلكة وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : لولا الميثاق الذي أخذه ا على أهل العلم ما حدثتكم بكثير مما تسألون عنه وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما : أن مروان قال لبوابه اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان امرئ منا فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون فقال ابن عباس : ما لكم ولهذه الآية إنما أنزلت في أهل الكتاب ثم تلا { وإذ أخذ ا ميثاق الذين أوتوا الكتاب } الآية قال ابن عباس : سألهم النبي A عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي سعيد الخدري : أن رجالا من المنافقين كانوا إذا خرج رسول ا A إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول ا A فإذا قدم رسول ا A من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت وقد روي أنها نزلت في فنحاص وأشيع وأشباههما وروي أنها نزلت في اليهود وأخرج مالك وابن سعد والطبراني والبيهقي في الدلائل عن محمد بن ثابت أن ثابت بن قيس قال : يا رسول ا لقد خشيت أن أكون قد هلكت قال : لم ؟ قال : قد نهانا ا أن نحب أن نحمد بما لم نفعل وأجدني أحب الحمد ونهانا عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال ونهانا أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا رجل جهير الصوت فقال : يا ثابت ألا ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة ؟ فعاش حميدا وقتل شهيدا يوم مسيلمة الكذاب وأخرج ابن المنذر عن الضحاك في قوله : { بمفازة } قال بمنجاة وأخرج ابن جرير عن ابن زيد مثله